دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	اللسانيات العربية: رؤية منهجية في المصادر والأسس النظرية
المصدر:	أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والآفاق
المؤلف الرئيسي:	غلفان، مصطفى
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2007
الناشر:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس
مكان انعقاد المؤتمر:	فاس
الهيئة المسؤولة:	جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الشهر:	نونبر
الصفحات:	51 - 70
رقم MD:	596621
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	اللغة العربية ، البحوث اللغوية ، اللسانيات العربية ، الخطاب اللغوي، النظريات اللغوية ، الندوات، المغرب
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/596621

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

اللسانيات العربية:

رؤية منهجية في المصادر والأسس النظرية

مصطفـــى غلفـــان

الحديث عن علاقة اللغة العربية بالنظريات اللسانية موضوع هذه الندوة، حديث عن تقويم تجربة ما يعرف باللسانيات في الثقافة العربية الحديثة. كيف استوعب اللغويون العرب المحدثون مبادئ هذه اللسانيات وفرضياتها ونماذجهاالنظرية؟ كيف تم نقل كل ذلك للقارئ العربي متخصصا كان أم قارئا عادياً؟ كيف وظفت اللسانيات وطبقت في دراسة مختلف جوانب اللغة العربية؟ ما النتائج النظرية والمنهجية المترتبة عن تطبيق النماذج المقترحة في اللسانيات على العربية؟ هذه الأسئلة وغيرها تسمح بفيض من الأجوبة وفي أحيان كثيرة تطرح أسئلة بديلة ترتبط بمجالات فكرية ليست دائما لغوية.

في البدء كانت التسمية

في الثقافة اللغوية العربية الحديثة يتم تداول العديد من العبارات مثل اللسانيات العربية/لسانيات العربية/الدراسات اللغوية العربية الحديثة/الدرس اللغوي العربي/ الفكر اللساني العربي/التفكير العربي اللساني وعيرها من التسميات التي تطلق هكذا دون ضبط. فهذه العبارات في حد ذاتها تطرح أكثر من سؤال: هل هناك فعلا لسانيات العربية؟ ما المقصود بها؟ ماسماتها النظرية والمنهجية؟ يجب التمييز بين ما يمكن تسميته بلسانيات العربية واللسانيات

العربية. فالأولى تروم الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو نسقها الحديث أو نسقها الوسيط وكذلك العمل على الفكر المتصل بهذه اللغة. ولسانيات العربية لا تتحدد باللغة المكتوب بها إذ تمكن أن تكون لغة غير العربية، بقدر ما تحدد باللغة موضوع الوصف. أما اللسانيات العربية فهي ذات مجال مختلف وأوسع، إذ يمكن أن تشمل ما هو مكتوب من اللسانيات الأجنبية. وقد نقصد أيضا باللسانيات العربية ما هو موجود من تصور عربي للظاهرة اللغوية[1]

ما يتبدى لمتتبع خطاب اللسانيات العربية هو أن وجود تراكم من الدراسات والمؤلفات اللغوية العربية الحديثة لا يفرز عند الفحص المنهجي إلا حالات قليلة جدا مما يستحق أن يندرج فعلا في إطارالبحث اللساني. إن الدراسات اللغوية العربية تزداد يوما بعد يوم من حيث الكمية، أما النوعية فما يزال تطورها محدوداً، ويكاد المرء أن يقول إنه ينعدم أي تطور ملموس نشتم منه رائحة الجدة العلمية والعصرية أو حتى أن نلمس فيه أن يكون تياراً أو حركة جديدة أو معلماً رائداً في حقل الدراسات اللغوية الحديثة [2] وينتهي دارسون آخرون إلى حقيقة أكثر مرارة. إن أكثر الدراسات التي صنفت على أنها دراسة لسانية حديثة، هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والآراء دون غربلة وتمحيص حتى إن من يطالعها يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد، فيقف الباحث محاولاً أن يجد فيها المعلومات القيمة فيعرض عنها لأنها مملوءة بالتعليلات المرهقة وبالألغاز والتمويه[3] وإذا كنا لا نأخذ بهذه الأحكام جملة وتفصيلا، فإننا نعتقد أن المتتبع المتفحص لايسعه إلا أن يصف ما يكتب في مجال اللسانيات العربية بأنه فعلا نوع من الخطاب اللساني الهزيل[4].

وحين نبدي حكمنا السلبي في حق ما هو سائد من خطاب لساني هزيل لا ننفي وجود أبحاث لسانية عربية في المستوى المنشود، لكنها أبحاث نادرة تعد على أصابع اليد الواحدة. وإقرارنا بضعف التجربة اللسانية العربية الحديثة ليس معناه التقليل من الأهمية التاريخية للغويين العرب المحدثين أو النيل من تكوينهم العلمي وكفاءاتهم الشخصي. إن اللسانيات باعتبارها ميدان بحث علمي لم تتمكن بعد من رسم معالم إطارها في حضن الثقافة العربية الحديثة، و تفصل بينها وبين المستوى الذي بلغته في جامعات الغرب درجات كبيرة اللهم إلا ومضات تلمع بين الحين والحين ترتفع إلى ذلك المستوى، ولكنها في الأعم نتاج جهد فردي خالص [1] غالباً ما يضيع ولا يكاد يلتفت إليه وسط التراكم الموجود من الكتابات التي تفتقر في معظم الحالات إلى حد أدنى من مقومات العمل اللساني السليم. فما أسباب هذه الوضعية؟ هل تعيش اللسانيات العربية أزمة ما؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فما طبيعتها؟

الهيمنة المزدوجة.

إن حقيقة أزمة اللسانيات العربية أنها أزمة أسس أي أزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالاً معرفياً معيناً وتحدد معالمه. ويلاحظ المتتبع أن اللسانيات العربية تعيش تحت هيمنة مزدوجة: هيمنة التراث اللغوي العربي وهيمنة الفكر اللساني الغربي الحديث، مما يجعلها تفرز أشكالا متعددة ومتناقضة من العوائق المادية والصورية. ويَنتُج عن هذه الهيمنة مواقف متباينة في تصور طبيعة العمل اللساني العربي وهدفه، وهذه المواقف هي:

أ- التشبث بالتراث اللغوي القديم جملة وتفصيلا

ب- التبني المطلق للنظريات اللسانية الغربية الحديثة.

ج- التوفيق بين التراث والنظريات اللسانية الحديثة.

و تنعكس هذه المواقف في مستوى إنتاج المعرفة اللسانية ذاتها سواء في مستوى طبيعة الكتابة اللغوية العربية أي الموضوعات المطروقة أو في مستوى المناهج المتبعة فيها، فهذه الوضعية تبين وجود ثلاثة أنواع من الخطابات وهي:

أ - خطاب لغوي يردد مختصراً أو شارحاً أو مبسطاً التراث اللغوي .

ب- خطاب تابع للنظريات اللسانية المعاصرة في جزئياتها وتفاصيلها.

ج- خطاب توفيقي، معاصر في منطلقاته النظرية والمنهجية، تراثي في نتائجه، توفيقي في أهدافه من حيث إنه يتوخى التوفيق بين فكرين: قديم وحديث.

هذه الوضعية تكاد تكون مألوفة في الفكر العربي الحديث، وليس في هذا الأمرغرابة مادام الخطاب اللساني العربي الحديث يعكس بكل وضوح إشكالات الفكر العربي الحديث بمستوياته الفكرية والسياسية والاجتماعية. فكيف السبيل لتجاوز هذا الوضع الذي طال أكثر من اللازم؟

نحو طريق بديل:

يتعين القيام بنوع من النقد المزدوج، نقد الموروث والمستورد وتمحيصهما على حد سواء، أي أن ننظر بفكر ناقد وواع للتراثين العربي والغربي. والتعامل مع أي نموذج قديم أو حديث لا يعني التبني أو الرفض أو التوفيق، هكذا بدون مقدمات نظرية ونتائج منهجية. التعامل المتوخى يكمن في النظر لهذا التراث كما هو بعيداً عن كل أشكال الإسقاط النظري والمنهجي الظرفي التي تنظر للتراث من خلال هذا النموذج اللساني أو ذاك كما يفعل الخطاب التوفيقي خطاب إعادة القراءة أو لمجرد نقده كما فعل اللغويون الوصفيون العرب لأن الغرب انتقد تراثه وهو يؤسس لقيام اللسانيات العامة[1]. إن التعامل الحقيقي مع التراث اللغوي العربي في نظرنا يعني الوعي بلحظات التراث التاريخية الفاعلة فيه،

وإدراك حدوده في فهم الموضوعات التي عالجها. إن الموقف السليم من التراث هو موقف لا انتقائي ولا تجزئي ونفعي. كما أنه ليس موقفاً من المضمون دون الشكل أو موقفاً من الشكل دون المضمون. إنه موقف يحاول استيعاب التراث كله استيعابا نقديا في إطاره التاريخي،أي الوعي الموضوعي بحقيقة التراث في ملابساته التاريخية والاجتماعي[2]. هذا المنظور النقدي في التعامل يصدق أيضاً على التعامل مع التراث اللغوي الغربي. إن ما يهمنا راهناً في مجال اللسانيات ليس هو أخذ هذه اللسانيات في شموليتها أوفي تفاصيلها، لا يهمنا امتلاك ناصية العلم كما يقال عادة بشكل مطلق وعام، بل ينبغي وضع كلمة أرجل مكان ناصية، ذلك لأن ما نحن في حاجة إليه ليس إذلال العلم ولا تسخيره بالمعنى الذي نفهمه من السخرة، بل إن ما نحن في حاجة إليه فعلا هو تلك الأرجل التي يمشي عليها العلم وبها يتحرك وينمو[3].

أمام هذه الوضعية يتعين البحث عن تصور رابع يتجاوز:

- إعادة اجترار الثقافة اللغوية العربية القديمة شرحا واختصارا.
- السقوط في التطبيق الحرفي والأعمى للنظريات اللسانية الحديثة.
- الاقتصار على رؤية الفكر اللغوي العربي القديم من خلال نموذج لساني حديث في إطار قراء ة ساذجة تقف عند حدود التنويه بالقديم وتمجيده دون استنتاج ما يمكن من بلورة البحث اللساني العربي نحو آفاق منهجية ونظرية جديدة.

إن الموقف الأكثر ملائمة لوضعنا اللغوي الراهن يجب أن يُؤخَذ بعد التمحيص أياً كان المصدر والمنطلق. وسواء أكان النموذج المعتمد عربيا أم غربياً، فإنه يتعين نقده في أسسه ومبادئه العامة وفهمه في إطاره الفكري الذي أنتجه ليتسنى لنا أن نستفيد مما نأخذه، ونوظفه فيما يُطْرَح علينا من مشاكل

وقضايا لغوية معاصرة نعيشها راهنا. لا يعني هذا الكلام أننا ندعو إلى خصوصية مطلقة نرفض معها كل ما يغاير الفكر العربي، يجب أن ننطلق من اللسانيات الحديثة باعتبارها ثقافة معاصرة محاولين تعميقها وتوسيع نطاقها نستمد منها الأسس النظرية والمنهجية للعلم، نستوعبها لإنتاج معرفة لسانية تتناول واقعنا اللغوي دون أي تعارض مع الخطاب اللساني العام.

الهوية اللاإنسانية للعلوم الإنسانية في الوطن العربي:

إن الصعوبات والعوائق التي تعترض البحث اللساني العربي ليست معطى لاتاريخياً، إنها جزء من إشكالات عامة تعرفها العلوم الإنسانية في الوطن العربي إذا كان ثمة فعلاً علوم إنسانية عربية. وتأخذ هذه الإشكالات بدايتها من كون اللسانيات في العالم العربي الحديث ليست استمراراً للفكر اللغوي العربي القديم.إن اللسانيات لم تنشأ في أحضان الثقافة العربية القديم، وإنما وردت من ثقافات أخرى غربية بالأساس. لا يمكننا نحن العرب معرفة اللسانيات إلا من نافذة اللغات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية. إن نشوء هذه العلوم الإنسانية وتدريسها وتداولها في المؤسسات الجامعية ومؤسسات البحث لم يأت نتيجة تطور ذاتي طبيعي وتلقائي للفكر العربي في مواجهة واقعه، بل كانت أحد مظاهر عملية المثاقفة التي عرفها الفكر العربي الحديث، وهذا ما طبعها منذ البداية بطابع الأزمة، إذ اختلط فيها منذ البدء همان متداخلان: هَمُّ متابعة واستيعاب مظاهر التطور الفكري في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب، وهَمُّ رصد وفهم واقع وتحولات الواقعالاجتماعي نفسه[1]. ونتيجة قيامها في تربة فكرية غير التربة العربية عوملت اللسانيات وباقي العلوم الإنسانية الأخرى باعتبارها علوما دخيلة وأدوات للسيطرة مرتبطة بهيمنة الاستعمار والنظام الرأسمالي في مرحلة أولى. وبدأ التساؤل حول العلاقة بين ما هو معرفي وما هو

إيديولوجي في هذه العلوم، بين ما هو شمولي ومحايد وما هو خصوصي ومتميز، وبدأ التساؤل حول الهوية الإبستمولوجية والإيديولوجية لهذه العلوم وحول إمكانية استعمالها واستخدامها في معرفة المجتمعات العربية وتوجيها.[2]

إن المطلوب من اللسانيات العربية والعلوم الإنسانية الأخرى هو أن لا يظل التعامل معها تعاملاً مجرداً وعاماً، أي أن لا يبقى البحث اللساني العربي منحصراً في العرض النظري للأفكار والمفاهيم اللسانية الحديثة مع أمثلة مناسبة أو مترجمة من هنا وهناك، لا قيمة لأي فكر أو علم يظل محصوراً في إطار السرد النظري. إن جانب القصور في الدراسات الإنسانية العربية يتمثل في كونها تفتقد لأهم عنصر يتطلبه هذا الضرب من المعرفة ألا وهو دراسة الواقع المعطى لغويا واجتماعيا وسيكولوجياً وأنثروبولوجياً. بهذا المعنى يمكن القول بأن علومنا الإنسانية لم تساهم بعد في فهم الواقع العربي بدراسته دراسة جديدة من منظور ما تقدمه مختلف النظريات.

إن عدم ازدهار العلوم الإنسانية بما فيها اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة يرجع إلى أن أوليات هذه العلوم تلقن لكن بكيفية مجردة، فينتج عن ذلك بنية معرفية غير مرتبطة بالواقع. فما زالت جل المؤلفات غير التقليدية تلخيصاً نظرياً لمبادئ العلوم. أما البحوث التطبيقية الميدانية فما زالت نادرة[3]. كما أن مظاهر النقص والقصور في علومنا الإنسانية بعد كل هذه المدة الزمنية من تعرف المثقف العربي عليها، تكمن في كونها لا تراعي الخلفية الإيديولوجية والإبستمولوجية لهذه العلوم وهي اعتبار الإنسان موضوعا وكل ممارساته ومؤسساته وقيمه وتنظيماته قابلة للدرس والتحليل باعتبارها ظواهر اجتماعية.

الخطاب اللساني العربي الحديث : محاولة تصنيف

لا يتأتى فهم طبيعة كثير من العوائق التي أشرنا إليها سابقاً إلا بالرجوع للشروط التاريخية التي رافقت الدرس اللغوي العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم لأنها تسمح لمتتبع الكتابة اللغوية بإدراك حقيقة جملة من الملابسات الفكرية والاجتماعية. وليس الهدف من الشروط التاريخية التأريخ لحياة اللغويين العرب المحدثين أو لأعمالهم وتصوراتهم ومذاهبهم اللغوية.إننا نروم تلمس المشيرات التي يمكنها أن تعيننا على فهم بعض القضايا المرتبطة بموضوع تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة.

ونظراً للتطورات التي عرفتها الدرس اللساني العام، فقد عرف الخطاب اللغوي العربي الحديث بدوره اتجاهات متعددة، الأمر الذي يجعل كل محاولة ترتيب الكتابة اللسانية العربية وتصنيفها محفوفة بعدة الصعوبات نذكر منها:

أ - استحالة القيام بتصنيف شامل لانعدام استقراء تام لكل الأدبيات اللسانية العربية الحديثة و المعاصرة.

ب- عدم استقرار الكتابات اللسانية على خط نظري واحد. فقد يعرض اللساني العربي بالدرس والتحليل لقضية معينة من وجهة لسانية يتبع فيها أحدث النظريات اللسانية، لكنه سرعان ما يتبنى في قضية أخرى موقفاً تقليدياً يعيد فيه ما قاله القدماء وربما بكيفية أقل توفيقاً. وقد يحصل الانتقال من موقف نظري إلى آخر داخل الدراسة الواحدة.

ج- خضوع عملية التصنيف في معظم الحالات لرؤية صاحبها المنهجية وموقفه الشخصي من اللسانيات،

إن تصنيف الكتابة اللسانية العربية تتطلب إحاطة شاملة وفحص دقيق لـــمصادر الـــمادة الـــمعروضة للتصنيف و التحلي برؤية نظرية ومنهجية مـــحددة يتم في ضوءها هذا التصنيف. إن تناول اللغة اليوم علميا لم يعد ممكنا خارج إطار اللسانيات أي خارج الشروط العلمية والمبادئ العامة التي تقترحها مختلف النظريات والتصورات اللسانية. على أن الإطار النظري الذي انطلقنا منه في تعاملنا مع الكتابات اللسانية العربية لا ينتمي بالضرورة لتيار لساني محدد نصدر عنه ونحكم في ضوءه على كتابات غيرنا أننا نراعي في موقفنا النقدي فيالأوليات المظرية والمنهجية المشتركة بين مختلف الاتجاهات اللسانية الحديثة والمتمثلة فيلاكون موضوع الدرس اللساني هو دراسة بنية اللسان في مختلف مستوياته وهو المبدأ التي يشكل أساس كل مقاربة لسانية تريد لنفسها العلمية. بهذه المعنى تعاملنا مع اللسانيات العامة بنوع من الانفتاح على كل التيارات والمذاهب دون الانحياز لهذا أو ذاك،. ومما يفرض علينا هذا الانفتاح أيضا أننا بصدد الوقوف على المصادر والأسس المنهجية للكتابات اللسانية العربية في توجهاتها المختلفة. لقد حاولنا الجمع بين بعدين بعد عام يتمثل في اللسانيات العامة وبعد خاص يتمثل في اللسانيات العربية في تناولها اللغة العربية. ولا يخفى على المهتم بالبحث اللساني العلاقة الجدلية بين النظرية العامة والأنحاء الخاصة.

الخطاب اللغوي النهضوي: التجليات والسمات العامة والتوجهات

تأسيسا على ما سبق نقول إن النشاط اللغوي العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى اليوم أفرز إجمالا خطابين متميزين: خطاب لغوي نهضوي وخطاب لساني معاصر. نقصد بالخطاب اللغوي النهضوي كل الكتابات اللغوية التي ظهرت في الفترة الممتدة ما بين بداية النهضة العربية ومنتصف القرن

العشرين. ويعد عمل رفاعة رافع الطهطاوي" التحفة المكتبية لتقريب القواعد العربية" 1868[1] بداية هذه المرحلة التي تنتهي مبدئياً مع ظهور أول مؤلف عربي في علم اللغة الحديث حوالي 1941 مع على عبد الواحد وافي[2] بيد أننا إذا قمنا بفرز مصادر هذا الخطاب اللغوي النهضوي وحددنا سماته النظرية والمنهجية وجلونا أهدافه وحللنا نتائجه، تبين لنا أنه لا ينتهي نهائياً بظهور مؤلف وافي، بل نكاد نجزم أنه ما زال قائماً في كثير من الكتابات اللغوية العربية المعاصرة[3].

يتسم هذا الخطاب بجملة من السمات والملامح الفكرية العامة نذكر منها:

- انخراطه الكلي في الإشكالات الكبرى التي عرفها الفكر العربي الحديث، وهو ما جعله يهتم أساساً بقضايا لغوية تتعلق بدور اللغة في النهضة العربية سياسياً وفكرياً واجتماعياً.

- استناده إلى بعض المصادر والأفكار التي جاء بها المنهج التاريخي المقارن في أوروبا.

- ترويجه مجموعة من الأفكار حول طبيعة اللغة العربية واعتبارها لغة فوق اللغات البشرية.

- إدماجه اعتبارات غير لغوية في تحليلاته ومواقفه النظرية من خلال تأكيده المستمر على الدور الحضاري والثقافي للغة العربية، وهي أمور لا نختلف معها من حيث المبدأ لكننا نعتبرها خارج إطارالدرس اللساني بمعناه العلمي الدقيق.

- تغييبه الواضح كل منحى وصفي جديد للظواهر اللغوية العربية.

- اقتصارهعلى إعادة إنتاج قواعد النحو العربي القديم شرحاً واختصاراً

ويندرج ضمن هذا النوع من الخطاب كل الكتابات اللغوية التي تناولت قضايا لغوية ظهرت في ظروف حضارية خاصة تتعلق بالنهضة العربية

ومستلزماتها الفكرية، مثل: إحياء اللغة العربية وتراثها تم إنماؤها وجعلها مسايرة لمتطلبات عصر النهضة الجديد وحاجياته اللغوية. تلك هي منطلقات وأهداف أعمال أحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي وجورجي زيدان والكرملي وجبر ضومط وعبد القادر المغربي ومحمد كرد على وعبد الله العلايلي ومجمل الكتابات الصادرة عن المجمعيين العرب في كل القاهرة ودمشق وبغداد وعمان.

وتتعدد الكتابات اللغوية النهضوية من حيث مصادرها ومنطلقاتها الفكرية والمنهجية مما جعلها تسير في اتجاهات متعددة تتقارب أحيانا لدرجة التداخل في الموضوع والهدف وتتباعد أحيانا أخرى لدرجة التناقض، نذكر منها للتوضيح والتقريب:

- اتجاه تقليدي يعيد شرح ما قاله النحاة واللغويون العرب القدامى وتوضيحه ويجتهد في الدفاع عن هذا القديم والاحتجاج له. يتجسد هذا الموقف في كتابات محمد كرد على وحسين الخضيري وأحمد العوامري وإبراهيم حمروش وناصف على النجدي وغيرهم من أعضاء المجامع اللغوية[1]

- اتجاه مدرسي توخى تبسيط قواعد النحو العربيالقديم وإصلاح تعليمه واختصاره في لغة حديثة ميسرة. بدأ هذا الاتجاه مع عمل الطهطاوي التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية 1868 وحسن المرصفي في الوسيلة الأدبية 1872 وتيسير قواعد تدريس اللغة العربية للجنة من العلماء 1938 وسلسلة النحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين وغيرها من الكتابات المدرسية التي حاولت اختصار النحو العربي في قواعده الأساسية:

- اتجاه نقدي حاول إعادة النظر في فلسفة النحو العربي وأصوله مركزا على عوامل التعقيد في المنظومة النحوية القديمة وضعف منهجية القدماء في تقديم المادة اللغوية و التقعيد النحوي لها. ذلك ما نجده عند إبراهيم مصطفى في"

إحياء النحو" و أمين الخولي في مقالته "هذا النحو" وأحمد أمين :اقتراح لإصلاح في متن اللغة العربية[1] وشوقي ضيف في" تجديد النحو" 1948. هذا الاتجاه غالباً ما كان يكمل الاتجاه السابق.

- اتجاه عملي حتى لا أقول وظيفي دعا إلى تطوير أساليب اللغة العربية وتحريرها من التقليد والمحافظة كي تواكب التطورات الحضارية والعلمية التي تفرضها الحياة العربية الحديثة ذلك ما نجده في كتابات أمين الخولي" مشكلات حياتنا اللغوية 1956 ومحمود تيمور في "مشكلات اللغة العربية ".1956 وأحمد أمين في مقالاته بمجلة مجمع اللغة بالقاهرة.

- اتجاه تاريخي مقارن أخذ أصحابه نصيباً وافراً من الثقافة اللغوية الغربية فحاول أصحابه تقديم تصورات جديدة للبحث في تاريخ اللغة العربية ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية والآرية. وقد ضم هذا الاتجاه لغويين مستشرقين وعرب نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: ويلفنسون "تاريخ اللغات السامية" 1914،وبرجستراىشر" التطور النحوي للغة العربية" 1929 وأنستاس الكرملي "في تناظر العربية واليونانية وفي تناظر العربية واللاتينية 1935 وعبد الله العلايلي" مقدمة لدراسة اللغة العربية" 1934 ونذكر من اللغويين العرب المعاصرين: إبراهيم السامرائي وعبد الرحمان أيوب وعبد الحق فاضل ورمضان عبد التواب وشاهين عبد الصبور وغيرهم.

الخطاب اللساني العربي :

أما الخطاب اللساني فنقصد به ذلك الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تستند نظرياً ومنهجياً للمبادئ التي قدمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأمريكية في إطار ماأصبح يعرف باللسانيات العامة.إن اللسانيين العرب الذين درسوا اللسانيات والصوتيات في جامعات

أوروبا وأمريكا حاولوا تطبيق ما درسوه على اللغة العربية. وحيث إن النظريات اللسانية قد ظهرت على مراحل متدرجة، فقد كان لكل فترة طائفة من الباحثين العرب الداعين لهذه النظرية اللسانية أو تلك .

في دراسة سابقة،[2] قمت بتصنيف أولي للكتابة اللسانية العربية حيث قسمتها باعتبار الموضوع الذي تشتغل به إلى ما أسميته لسانيات التراث ولسانيات الأداة (ما يسميه الأستاذ الفاسي الفهري بلسانيات الظواهر). تتناول لسانيات التراث موضوعاً لها ما كُتِبَ حول اللغة العربية وذلك بشرح آراء اللغويين العرب القدامى وتأويلها في إطار نوع من المقارنة بين التراث اللغوي العربي والفكر اللساني الحديث. أما لسانيات الأداة فتتناول اللغة العربية بالدرس والتحليل من حيث إنها بنية من مستويات مختلفة. سأحافظ على جوهر التصنيف الذي اقترحته محاولا توضيحه وتعميقه وضبطه بشكل يجعله إجرائياً. ولهذا الغرض نعتمد في تحديد نوعية الكتابة اللسانية الحديثة المعايير التالية: الموضوع والمنهج والغاية. نقصد بالموضوع المادة التي يُبْحَثُ فيها أو يُشْتَغَلُ بها. والموضوع في الخطاب اللساني العربي أحد الأشياء التالية:

- النظريات اللسانية: مبادؤها ومناهجها وأعلامها وما يتصل بها من مفاهيم ومصطلحات.
- التراث اللغوي العربي القديم من حيث إنه تصورات وطرق تحليل ومفاهيم ومصطلحات.
- اللغة العربية الفصحى القديمة أو الحديثة أو إحدى لهجاتها.

أما المنهج فهو وجهة النظر المتبعة للبحث في موضوع معين. والمنهج في خطاب اللسانيات العربية إما:

- منهج تعليمي تربوي يروم تقديم المعرفة للقارئ العربي المبتدئ.

- منهج القراءة أو ما يعرف كذلك بإعادة القراءة.

- أحد المناهج العلمية المعروفة في تاريخ الفكر اللغوي مثل المنهج التاريخي أو المقارن أو التقابلي.أو المنهج الوصفي أو التفسيري.

أما الغاية فنقصد بها الهدف الذي يرومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني.

من حيث الغايات يـــمكننا أن نذكر:

- تبسيط المعرفة اللسانية وتقريبها من القارئ غير المتخصص.

- التوفيق بين التراث اللغوي القديم في جوانبه المتعددة ومضامين النظريات اللسانية الحديثة.

- اقتراح وصف و/أو تفسير جديدين لظواهر لغوية عربية قديمة أو حديثة.

تبعاً لما أوردناه من معايير التصنيف أي الموضوع والمنهج والغاية يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الكتابة اللسانية أسميها:

- الكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية
- لسانيات التراث
- لسانياتالعربية

اللسانيات التمهيدية:

يتشكل موضوعالكتابة اللسانية التمهيدية أو التبسيطية مـــما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة. وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية.وتروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي سواءأ كان مبتدئاً يلج عالم

التخصص أو قارئاً ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى من فكر عربي أو نقد أدبي أو تاريخ أو ما شابه ذلك.

لسانيات التراث:

لسانيات التراث تتخذ التراثَ اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعاً لدراساته المتنوعة. أما المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة. ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وإعادة تأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية.

لسانيات العربية:

وهي الكتابة اللسانية التي تعتمد بنيات اللغة العربية موضوعاً تشتغل به ويتمحور حوله كل اهتماماتها. ويتم النظر للغة العربية في هذه الكتابات باعتبارها نسقاً صوريا أو وظيفياً يمكن وصفه و/أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التحليل اللساني الحديث. وتتوسل لسانيات العربية في مقاربتها هاته بمنهج مغاير للمنهجين المعتمدين فيالنوعين السالفين من الكتابة. ولا يخرج المنهج في لسانيات العربية عن نطاق المناهج العلمية المتداولة في البحث اللساني العالمي منذ منتصف القرن التاسع عشر مثل المنهج التاريخي والمقارن والوصفي والتقابلي.وتسعى لسانيات العربية من حيث الهدف إلى تقديم وصف جديد لبنيات اللغة العربية على نهـــج غير معروف في الثقافة اللغوية العربية وذلك وفق ما وصل إليه البحث اللساني العام. ولكل نوع من هذه الكتابات سمات

وخصائص نظرية ومنهجية تتسم بها وتميزها عن سواها فصلنا القول فيها في دراسة سابقة.[iii]

في نهاية هذا التصنيف، نشير إلى ما يلي:

- **أولاً**: عند ما نقول مثلا بأن الكتابة اللسانية التمهيدية تتخذ من النظريات اللسانية موضوعاً لها، فإن هذا لا يعني أن النوعين الآخرين لا يتناولان الـــموضوع نفسه. إن الكتابة اللسانية الواحدة قد تشمل موضوعا أو أكثر لكنها تركز اهتمامها وتمحوره حول موضوع واحد تعتبره أساسياً ولا تتناول الموضوعات الأخرى إلا بكيفية ثانوية.

- **ثانيـــاً**: إن اللساني العربي قد يزاوج بين كتابتين لسانيتين أو أكثر تقتربان أو تبتعدان في الموضوع والمنهج والغاية. وقد يجمع اللساني الواحد بين الأصناف الثلاثة كما هو الشأن بالنسبة لأحمد المتوكل وتمام حسان و عبد السلام المسدي و يحصل الانتقال من موقف إلى آخر داخل الكتابة الواحدة كما عند عبده الراجحي.

خاتمـــــة:

إن قيام لسانيات العربية في المستوى المنشود يتطلب أولا وبالضرورة التقيد بالمتطلبات التي يقوم عليها البحث العلمي في اللسانيات والتي تتلخص أساسا في تحديد الموضوع المدروس ووصفه وتفسيره في إطار مجموعة من الفرضيات التي تقترحها نظرية معينة مصاغة صورياً. إن الدرس اللساني العربي في حاجة ماسة إلى تأسيس نظري لموضوعه، وذلك حتى يستجيب لإحدى أهم المتطلبات المنهجية في البحث اللساني العام والمتمثلة إجمالاً في تحديد مجموع الأدوات المعرفة والتقنيات التي تستخدمها اللسانيات لتحديد موضوعها والبحث

فيه. يتبين من خلال التحليل الذي قمنا به للكتابات اللسانية العربية بمختلف مشاربها واتجاهاتها[iv]، أن الدرس اللساني العربي الحديث والمعاصر يفتقد في جله إلى رؤية منهجية تحدد طبيعة اللغة العربية من حيث هي موضوع للدرس والتحليل أي باعتبارها مصدراً للمعطيات المادية التي يشتغل بها اللسانيون العرب المحدثون أو التي يفترض أنهم يشتغلون بها.

إن تطور البحث اللساني العربي مرتبط نظريا ومنهجياً بمدى قدرته على أن يجعل من اللغة العربية موضوعاً لدراسته العلمية، وهو ما يعني أنه بالإمكان الاشتغال بها باعتبارها موضوعاً اختبارياً هوعلى وجه التحديد اللغة المنطوقة أو المكتوبة يكون قابلا للإدراك والتصور بكل موضوعية. لكن كيف يتأتى لنا أن ندرك الموضوع وهو غير قابل للملاحظة المباشرة وإنما من خلال الآثارالتي يخلفها من أصوات وكلمات و جمل وخطاب ؟ وإذا كانت اللغة موضوعا للسانيات فلا بد من استحضار الأوليات المنهجية في اللسانيات وفي كل العلوم وهي أن الموضوع ليس معطى جاهزا ولكنه بناء نظري. إن "وجهة النظر هي التي تخلق الموضوع" على حد تعبير دو سوسور أي أن موضوع اللسانيات مرتبط بالنظرية التي يتم تحديده من خلالها ويحلل في ضوئها. ومن النتائج النظرية والمنهجية المترتبة عن عملية تحديد الموضوع أن ارتبط هذا التحديد بعلمية اللسانيات ذاتها واستقلالها عن غيرها من العلوم اللغوية من نحو وفيلولوجيا وبلاغة وتحليل النصوص الأدبية والعلوم الإنسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وبعض المعارف الأخرى مثل المنطق وفلسفة اللغة.

إن شرط إمكان وجود لسانيات العربية مرتبط نظريا ومنهجياً بمدى قدرة الأبحاث اللسانية العربية على اكتشاف الموضوع الخاص بها وهو اللغة العربية أو إحدى لهجاتها ورصده باعتباره معطى قابلاً للتحليل والبحث من خلال نموذج

لساني عام يمكن من أبراز خصائص وسمات هذا الموضوع وتلك إشكالية أخرى من الإشكاليات التي تنفرد بها اللسانيات العربية.

الهوامش والإحالات:

(1) - تشكل هذه المداخلة موجزا عاما لمشروع بحث في اللسانيات العربية وخطابها وهو المشروع الذي وضعنا ملامحه الأولى منذ بداية الثمانينيات ونشرنا في إطار تصوره العام جملة من المقالات. وقد كانت أطروحتنا لنيل الدكتوراه1991 ماي تحت إشراف الأستاذ أحمد المتوكل دراسة مفصلا لهذا المشروع. وقد قام عدد من الباحثين في المغرب وخارجه بالتنقيب في نفس الاتجاه. وهكذا بحث الأستاذ حافيظ إسماعيلي علوي في الملابسات الفكرية لتلقي الثقافة العربية للسانيات (دكتوراه وطنية) كلية الآداب بن مسيك الدار البيضاء 2003. وفي جامعة عنابة بالجزائر يقوم الأستاذ يوسف منصر بالبحث في نفس الموضوع.

(1)- عبد القادر الفاسي الفهري، **عن نظرية لتطور الفكر اللغوي العربي** (حوار) مجلة المهد عدد3/ 4، السنة 1 عمان1984.

(2)- باكلا محمد حس، **النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية دراسة للفعل في اللغة المحلية في مكة المكرمة**، ص 1، مكتبة لبنات، بيروت، 1969.

(3)- ريمون طحان، **الألسنية العربية**، ص 11، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1972.

(4)- عبد القادر الفاسي الفهري، **اللسانيات واللغة العربية**، ج1 ص 35، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1984.

[1]- مبروك سعيد عبد الوارث، **في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية**، ص 173، دار القلم، الكويت، 1985.

[1]- ذلك ما فعله مثلا بعض الوصفيين العرب عندما أسقطوا انتقادات اللسانيات البنيوية في الغرب على النحو العربي لمزيد من التفاصيل انظر داود عبده: **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان،، بيروت 1973.

[2]- مصطفى المسناوي، **الوضعية المنطقية الجديدة**، مجلة الثقافة الجديدة عدد 21 /1980.

[3]- محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي** ص 189 المركز الثقافي العربي البيضاء.

[1]- **شروط إمكان علوم اجتماعية عربية**، مجلة الوحدة عدد 50 /1988، ص 3 المجلس القومي العربي للثقافة، الرباط.

[2]- المصدر نفسه، ص 4.

[3]- عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ**، ص 176، المركز الثقافي العربي، البيضاء 1984.

[1]- عاد نشره بدراوي زهران، دارالمعارف القاهرة 1983 437 ص و75 ص للمحقق.

[2]- علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة**، دار نهضة مصر، ط 7 القاهرة 1972 الطبعة الأولى حوالي 1940

[3] - انظر دراستنا، **اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة والتكوين** مكتبة المدارس، الدار البيضاء، 2006.

[1]- مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة عدد 6»1951 وهو بحث ألقي بالمجمع اللغوي بالقاهرة يناير1944 .

[2] - مصطفى غلفان، **بين لسانيات التراث ولسانيات الأداة**، أنوال عدد 1986/24 خاص عن اللسانيات.

-مصطفى غلفان، **اللسانيات العربية دراسة في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**، منشورات كلية الآداب عين الشق الدار البيضاء 1998.

- مصطفى غلفان، **اللسانيات العربية دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** منشورات كلية الآداب عين الشق 1998.